

الحلقة الثانية عشرة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل العبد الذي يجب أن يطيع سيده. وأراد المخلص المسيح بهذا المثل أنه يجب على أولاد الله أن يطيعوا أباهم السماوي دون أن يطلبوا أي مقابل أو مكافأة عن ذلك.

هل تعلم مستمعي لماذا يصلّي الإنسان؟ وهل تصلّي أحياناً؟ وهل تؤمن بأهمية الصلاة في حياتك؟ وهل تتأكد أنك عندما تصلّي يسمع الله لصلاتك؟ وأن الله سيستجيب لك؟ لقد تحدث المخلص المسيح بأمثال عن أهمية الصلاة ونتائجها إلى تلاميذه فقال لهم:

« مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ لَهُ يَا صَدِيقُ، أَفَرِضْني ثَلَاثَةَ أَرْغَفَةٍ، لِأَنَّ صَدِيقًا لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أَقْدَمُ لَهُ. فَيُجِيبُ ذَلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولُ: لَا تَزْعَجْنِي! الْبَابُ مُغْلَقٌ الْآنَ، وَأَوْلَادِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأَعْطِيكَ. أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكُونِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لِحَاظَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطُوا، اطلبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحْ لَهُ. فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْرًا، أَفِيُعْطِيهِ حَجْرًا؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفِيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً، أَفِيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (بشارة لوقا ١١: ٥-١٣).

لقد قارن المخلص المسيح بهذا المثل الله الآب السماوي بالشخص الذي يأتي إليه صديقه في منتصف الليل، ويطلب منه أن يقرضه ثلاثة أرغفة، لأن صديقاً أتاه من سفر وليس عنده ما يقدمه له. ثم أضاف المسيح قائلاً: أن هذا الشخص يقوم ويسدد حاجته ليس لكونه صديقه، لكن بسبب ل حاجته. وعندها قدم المسيح هذه النتيجة فقال: « اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له».

أي على الإنسان أن يلجأ إلى الله الآب السماوي في الصلاة، وأن لا يسأله فقط، بل يطلب ويلجأ عليه بإصرار، إذ هو بالتأكيد سيستجيب له. وضرب المسيح مثلاً على ذلك فتساءل هل من الممكن أن يعطي الأب ابنه أمراً يضره؟ فيعطيه حجراً بدلاً الخبز؟ أو حية بدلاً السمكة؟ أو عقرباً بدلاً البيضة؟ فإن كان الإنسان الشرير يعطي أولاده عطايا جيدة، فكم بالحري الآب السماوي يسدد حاجات الإنسان لاسيما الروحية منها، للذين يسألونه.

علينا أن نعلم أن الصلاة تعني العلاقة أو الصلة الروحية مع الله خالقنا. فالصلاة ليست مجرد واجب أو فرض ديني علينا أن نقوم به، لكنها بالأساس علاقة روحية تجمعنا مع الله الآب السماوي، نعبده ونتحدث فيها معه. ولكي تكون صلاتنا مقبولة أمام الله هناك أمر هام علينا أن نتحلى به. لعل هذا الأمر المهم هو أن نأتي أولاً كخطاة إلى الله تائبين عن ذنوبنا. فالصلاة ليست مجرد كلمات نرددتها ونعيد تكرارها، بل تتبع من القلب، وتعبّر عن حقيقة نفوسنا. وعندما نصلي تائبين ونؤمن بالمخلص المسيح أنه قد مات على الصليب من أجل خطايانا، يغفرها الله لنا، ويجعلنا من أولاده.

وعندما نصبح من أولاد الله نستطيع أن نتقدم إليه عندئذ بالصلاة عن إيمان وثقة. ويكون لدينا كل اليقين أن أبانا السماوي يسمع لنا وهو سيستجيب لطلباتنا. وليس هذا فحسب بل نعلم أنه علينا أن نستمر في الطلب، وأن نواصل الطلب ونلجأ عليه إن اقتضى الأمر، على مدى فترة طويلة من الزمن.

هل تعلم مستمعي أن المثابرة والإلحاح في الصلاة للمؤمن الحقيقي بالمسيح، تؤدي إلى تغيير قلبه وعقله وذهنه؟ فمن المهم أن يصلّي المؤمن بإيمان كما لو أن الاستجابة تعتمد على صلته، وإن كان يثق أن الاستجابة بالأساس تعتمد على الله. وهكذا يدرك عمل الله عندما تتحقق الاستجابة. وهناك أمر هام جداً هو أنه على المؤمن أن لا يصاب بالفشل والاحباط عندما لا يستجيب الله لصلاته. فالله يعلم المستقبل، وهو لا بدّ أن يستجيب لصلواته في الوقت المعين وبالطريقة التي يريدّها هو. وأحياناً يستجيب الله لصلاة المؤمن بأفضل مما توقع. وقد تكون عدم الاستجابة أحياناً أفضل للمؤمن.

إن الله من غير المعقول أن يخدعنا، كما سمعنا من المثل، وهو يريد الخير لنا. فإذا كان الآباء يستجيبون لطلبات أبناءهم ويعطونهم الأفضل، فكم بالحري أبانا السماوي الذي يريد أن لا يستجيب لطلباتنا فحسب، بل أن يقدم لنا كل ما هو صالح ومفيد. لكن بالأساس على المؤمن أن يطلب ويصلّي بحسب مشيئة الله. ولهذا قال المخلص المسيح لتلاميذه: « فَلَا تَهْتَمُوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَّمُ. لِأَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهَ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ » (بشارة متى ٦: ٣١-٣٣).

على المؤمن إذن أن يطلب أولاً ملكوت الله وبرّه، أي أن يطلب بركة الله وعطاياه الروحية أولاً لحياته. فيطلب أن يقويه الله بالإيمان، ويبيعه عن تجارب الشر، وينمي حياته الروحية لكي تظهر فيها ثمار الروح القدس. أما الحاجات الأساسية فإن الله سيعطيها له، لأن الله يعلم ما يحتاجه.

هل تود مستمعي أن تكون صلاتك مقبولة أمام الله؟ عليك أن تبدأ إذن بالخطوة الأولى وهي أن تتوب عن ذنوبك وتؤمن بالمخلص المسيح، وهكذا تصبح من أولاد الله. وعندها تقدر أن تتقدم إلى الله بثقة وإيمان، وتتأكد أنه سيستجيب لصلاتك إذ أصبح هو أباك السماوي.